هذه هي ثلاث مراحل سلكها عليه الصلاة والسلام في سيره في العهد المكي، وعلى العاملين اليوم الاقتداء بها في سيرهم لإقامة دولة الإسلام، ولا فرق في إنزال الحكم على الواقع بين الزمنين، ففي زمن الرسول في مكة لم تكن هناك دولة، وكانت الدار دار كفر، ونحن اليوم كذلك نحيا في دار كفر ولا دولة إسلامية لنا. أما الفروق في نوعية الأفكار التي يحملها الكفار، أو يطبقها المسلمون، فلا تغير وصف الواقع. فالعبرة في الإسلام وفي تطبيق الإسلام، العبرة في النظام والقانون والمعالجة، والعبرة في الدار هل هي دار إسلام أم دار كفر؟ أما الناس فالاختلاف في مخاطبتهم أمر طبيعي، وهذا لا يغير شيئاً في الواقع. فكون الرسول خاطب كفاراً وطالبهم بالإسلام يعني أنه طالبهم بالإسلام اعتناقاً وعملاً وتطبيقاً، فكراً وسلوكاً، عقيدةً وأحكاماً، داراً ودولةً، فهذا ما عناه رسول الله في مخاطبته لكفار ذلك الزمان، وهو بالفعل ما تحقق له في نهاية المطاف.

وكذلك نحن في هذا الزمان نخاطب مسلمين لاستئناف الحياة الإسلامية، بمعنى أننا نخاطبهم لجعل العقيدة أساساً في المجتمع والدولة والدار، فنخاطبهم ليكون الإسلام في الواقع فكراً وسلوكاً، عقيدةً وأحكاماً، داراً ودولةً، متأسين بالرسول عليه سلام الله في طريقته في تغيير الواقع. ، فنحن نطالب المسلمين بتطبيق الإسلام بينما الرسول كان يطالب الكفار باعتناق الإسلام وتطبيقه، وهذا الفرق لا يؤثر في الطريقة أو المنهاج، وبذلك تبقى سيرة المصطفى هي الطريقة الشرعية الوحيدة لتحويل دار الكفر إلى دار إسلام ابتداءً، أي في حالة إقامة الدولة الإسلامية ابتداءً، بمعنى في حالة عدم وجودها، أما إذا كانت الدولة قائمة فالواجب عليها أن تحول دار الكفر إلى دار إسلام عن طريق الجهاد؛ لأن الجهاد وتطبيق الإسلام في الواقع وعيشه حياة إسلامية هما طريقة نشر الإسلام وتحويل دار الكفر إلى دار إسلام.

حزب التحرير
المكتب الإعلامي

الطريقة الشرعية لإقامة الخلافة

لماذا الخلافة؟

ما هي مراحل بناء دولة الخلافة؟

ما الفرق بين المرحلة المكية والمرحلة التي نعيشها؟

هل يؤثر تغير الزمان في طريقة الدعوة؟

حين بيّن الإسلام أن رسالته هي رسالة إلى الناس كافة ونهى عن الاحتكام إلى غير شريعته فإنه جعل التزام الاحتكام إلى شريعته فرضا سواء ما كان منها أمرا أو ما كان منها طريقة لتنفيذ ذلك الأمر، وكذلك لم يجعله عفواً لمن أراد تحقيق هذه الغاية يختار الأسلوب الذي يرتئيه. وإنما جعل الطريقة التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم هي البيان الواجب الإتباع لوضع هذه الفكرة موضع التطبيق. ونحن مأمورون بإتباعها. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر/٧].

وعلى ذلك فإن طريقة إقامة الإسلام في الواقع، وتطبيق شريعته في الأرض وإيجاد الحياة الإسلامية يكون من خلال الدولة الإسلامية؛ دولة الخلافة. والخلافة هي الفرض الذي به توجد الفروض الأخرى، فتطبق الأمة الإسلام وتعلي كلمة الله وتحمل الدعوة إلى العالم وتشهد على الناس وتحيي فريضة الجهاد؛ ذروة سنام الإسلام. والخلافة هي تاج الفروض، والواجب المقيم لهذه الواجبات على وجهها ولقد نصت الأحاديث النبوية الشريفة على أهمية وجود الخلافة ومبايعة خليفة على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من خلع يداً من طاعة لقيَ الله يوم القيامة لا حُجّةَ له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية» (رواه مسلم). وروى الإمام البخاري في كتاب الفتن واللفظ له ومسلم في كتاب الإمارة وأحمد في مسند بني هاشم: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» بل إنه جعل الإجراء الصحيح إن خرج الحاكم عن تطبيق الاسلام إلى غيره هو إجراء الحياة والموت مما يدل على أن الخلافة التي تطبق الشرع هي قضية مصيرية؛ وفي البخاري عن عبادة بن الصامت قال: «دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايَعَنا على السمع والطاعة في مَنْشطنا وَمَكْرهنا وعُسْرنا ويُسْرنا، وأثَرَة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تَرَوْا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»

وفرض أن تكون الدولة الإسلامية دولة واحدة والأمة الإسلامية أمة واحدة. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» (رواه مسلم)

وبما أن طريقة تحقيق الفكرة الإسلامية أو الوصول إلى الغاية، التي هي تطبيق الإسلام وحمل دعوته إلى العالم، هي دولة الخلافة، وهي الفريضة الغائبة، فإن هذه الطريقة تصبح غاية للأمة الإسلامية ويجب العمل لوضعها موضع التطبيق.

إن فعله صلى الله عليه وسلم لإقامة الدولة الإسلامية منهج دلت عليه نصوص القرآن الكريم ومواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وهو بيان لكيفية العمل الشرعي

للوصول إلى هذه الغاية. وطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم مرت بثلاث مراحل وسنعرضها بإيجاز:

المرحلة الأولى: مرحلة التثقيف عندما بدأ يدعو إلى الإسلام بعد نزول الوحي عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1)قُمْ فَأَنذِرْ(٢)﴾ [المدثر] فنهض رسول الله عليه سلام الله يدعو إلى الإسلام فكون نواة الحلقة الأولى التي بدأت الاتصال بأفراد الأمة عارضة عليهم الفكرة والطريقة بشكل فردي، ويبني شخصيات من يستجيب كي تعيش لأجل الإسلام وتضحي من أجل الإسلام.

المرحلة الثانية: ابتدأت هذه المرحلة بأمر الله تعالى لرسوله أن يخاطب المجتمع الكافر بدعوته أي بشكل جماعي وأن يظهر كتلته أو جماعته للناس وكان ذلك بعد ثلاث سنين من بعثته قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[الشعراء: ٢١٦] وقال ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر]، وما أن نزلت هذه الآيات حتى صدع عليه السلام بالحق وبادأ قومه بالدعوة فلما تعرض لآلهتهم ناكروه وأجمعوا على خلافه.

وقد تميزت هذه المرحلة بالصراع الفكري بين أفكار الإسلام وأفكار الكفر والكفاح السياسي لقادة قريش وسادتها فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعيب عليهم عبادة الأوثان ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨] ويهاجم علاقاتهم الفاسدة وسلوكهم الشائن ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ...﴾ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾.

واستمرت قريش في عنادها وكفرها، فلما اشتد الأمر على المسلمين بدأ الرسول ﷺ بالبحث عن أرض خصبة لدعوته وعن قوم يحمون دعوته وجماعته المؤمنة وينصرون دينه وهذا ما عرف بطلب الحماية والنصرة، ولقد حاول رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحماية والنصرة إلا أنه في أكثر من عشر مرات لم ترض قبيلة من القبائل أن تنصره إلا بنو عامر بن صعصعة وكان ذلك مشروطاً بتوليهم الأمر من بعده، إلى أن يسر الله له رهطاً من الأوس والخزرج وكانت بيعة العقبة الأولى ثم الثانية.

المرحلة الثالثة: هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستلام الحكم بإقامة الدولة الإسلامية التي خاضت المعارك وأرست قواعد أعظم دولة لأعظم دين في التاريخ. هذه هي الطريقة التي سار فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لإقامة الدولة الإسلامية.